الثقافة السياسية بالأقاليم الجنوبية للمغرب: الأبعاد، الخصائص والقيم السياسية الناظمة

Political culture in the southern provinces of Morocco : Dimensions, characteristics and regulating political values

د.عدي البشير
دكتور في القانون العام والعلوم السياسية بجامعة ابن زهر
المملكة المغربية

الملخص

تهدف الورقة البحثية إلى وضع تصور عن طبيعة الثقافة السياسية بالأقاليم الجنوبية، عبر طرح سؤال ماهي الملامح العامة للثقافة السياسية في الأقاليم الجنوبية؟ وماهي القيم السياسية الناظمة لها؟، باستعمال مقاربة نسقية مزودة بالتأويل النفسي، التي تعتبرها ثقافة سياسية مرتبطة بالتنشئة السياسية وبالسياق السياسي المطبوع بالتنازع والصراع بين مجموعة من الأطروحات السياسية، أطروحة الحكم الذاتي للمغرب وأطروحة مبدأ تقرير المصير جبهة البوليساريو، ليتم استنتاج أن الثقافة السياسية بالأقاليم الجنوبية ثقافة سياسية متناقضة، تجمع بين المشاركة والاحتجاج وانقسامية تتأسس على العصبية القبلية، تحمل قيم سياسية بدوية تتوزع بين قيم التضامن والتعاون وقيم الاستزبان وقيم تهميش القواعد القانونية المعيارية ذات طبيعة ضبطية في ظل توسيع القواعد العرفية التقليدية.

الكلمات المفاتيح

ثقافة انقسامية، ثقافة الاحتجاج، ثقافة المشاركة، قيمة التضامن، قيمة الاستزبان، قيمة عدم الخضوع للقانون.

Abstract

The research paper aims to develop an overview of the nature of political culture in the southern regions, by asking what are the general features of political culture in the southern regions? What are the political values governing them? As an African researcher in politics, using a

coordinated approach with psychological interpretation, It considers it a political culture linked to political upbringing and the political context printed by conflict and conflict between a range of political theses. self-government of Morocco and the principle of self-determination of the Frente POLISARIO, To be concluded, the southern regions' political culture is a contradictory political culture s rights ", combining participation, protest and divisiveness based on tribal neuroscience, bearing nomadic political values that are divided between the values of solidarity and cooperation, the values of solidarity and the values of marginalization of normative legal norms of a restrictive nature with the expansion of traditional customary norms.

Key Word

A segmentais culture, a culture of protest, a culture of participation, the value of solidarity, the value of approval, the value of not submitting to the law.

تقديم

تعود الجذور الفكرية للبحث في الثقافة السياسية إلى الدراسات الرائدة حول الطابع القومي National charater على يد "روت بيندكت" Ruth Bendict، و"مرجريت ميد" Margaret Mead، و"جيوفري جورير" Géoffry Georer، وقد ركزت هذه الأدبيات على دراسة القيم والمعتقدات والممارسات الفردية التي تشكل ثقافة أمة ما[452].

ينضاف إلى ما سبق محاولة "ألموند"" G.Alemend و S.Verba "سنة 1963م باقتراح مفهوم جديد على علم السياسة وهو مفهوم الثقافة السياسية، بحيث قاموا في العديد من الدول كأمريكا وبريطانيا وألمانيا وإيطاليا والمكسيك ببحث لا يتم الاقتصار فيه على الثقافة السياسية؛ وإنما البحث عن سلوكات قبول أو عدم قبول تغيير أو تقدم ديمقراطي[453]، وهذا ما دفعهم إلى البحث عن الثقافة المدنية لهذه البلدان لاستشفاف مفهوم الثقافة السياسية، من خلال أحكام

[452] - عزمي بشارة، الثقافة السياسية ملاحظات أولية، **مجلة تبين** (العدد 45 المجلد 12، صيف 2023)، ص10.

[453]-Gabriel A. Almond & Sidney Verba، T**he Civic Culture: Political Attitudes and Democracy in Five Nations** (Newbury Park، CA: Sage Publications, 1989 [1963]، pp 12–13.

القيمة الموجهة إلى الديمقراطية، واعتمد كل من "ألموند و فيربا" على المقترب السلوكي كمعيار لمعرفة رد فعل سكان هذه الدول اتجاه الديمقراطية[454].

ولقد اعتبر "موريس دوفريجيه" (Maurice Duverger)، أن مفهوم الثقافة السياسية يشير في معانيه اليومية إلى التمظهرات السياسية للثقافة، ومن ثم تكون السياسة هي الثقافة التي تجعل من العالم السياسي موضوعها وحقل عملها، وهناك أبعاد سياسية للثقافة، ورغم ذلك فإن هذه الأبعاد قد تشكل كلا متجانسا ومتناسقا، أي نسقا يفسر نعتها بالثقافة[455]. ويحصر "كمال المنوفي" أبعاد الثقافة السياسية، في ستة أزواج يقدمها على الشكل التالي: الإكراه والحرية، الشك والثقة، الخنوع والمقاومة، التدرج والمساواة، الدينية والعلمانية، ثم الولاء المحلي والولاء القومي[456]. أما الأنماط المثالية الثلاثة التي يضعها "فيربا وألموند" للثقافة السياسية فيحصرها في الثقافة الرعوية وثقافة الخضوع وثقافة المشاركة.

لكن "والتر روزنبرم" "walter A rosenbaum " اقترح تقسيما آخر للثقافة السياسية، إذ حدد نمطين منها هما: الثقافة السياسية المتكاملة؛ بحيث أن أغلب الأفراد يكونون إيجابيين في توجهاتهم السياسية نحو السلطة ونحو دورهم في المجتمع، وهم على استعداد للمشاركة في الحياة العامة. أما النمط الثاني فهو الثقافة السياسية المشتتة، بحيث أن أغلب الأفراد سلبيين في توجهاتهم السياسية نحو السلطة ونحو دورهم في المجتمع، ولا يعيرون اهتماما بالمصلحة العامة[457].

ولكل نمط مثالي علاقة وطيدة مع نمط بنية سياسية، فالأول متعلق ببنية تقليدية غير ممركزة، بينما الثاني مكبل، فهو مرتبط بنسق سياسة سلطوية وممركزة، في حين يتمتع الثالث ببنية

---

454 - ضريف محمد، **النسق السياسي المغربي المعاصر**، إفريقيا للشرق، البيضاء الطبعة الأولى 1991، ص 45.

455 - نفس المرجع، ص48.

456 - كمال المنوفي، التنشئة السياسية في الأدب السياسي العالمي، **مجلة العلوم الاجتماعية** - (العدد الرابع الكويت - يناير 1997)، ص28.

457- Rosenbaum، Walter A.، **Political Culture** (New York: Praeger 1975)، p 52.

ديمقراطية، وفي السياق نفسه، فكل ثقافة تضم ثلاثة أبعاد مهمة: البعد الأول معرفي إدراكي؛ متعلق بالنسق السياسي القائم، والبعد الثاني عاطفي؛ متعلق بالإعجاب بالقادة والمؤسسات، والبعد الثالث تقييمي؛ خاص بتقييم الأحداث السياسية[458].

لذلك تبحث الورقة البحثية في إشكالية ملامح الثقافة السياسية في الأقاليم الجنوبية، عبر تشكيل صورة واضحة علمية عن ابعاد وخصائص الثقافة السياسية، ثم البحث القيم السياسية المهمة الناظمة لهاته الثقافة السياسية.

لتفترض الورقة البحثية ان الثقافة السياسية للأقاليم الجنوبية لا تخرج عن النسق العام المغربي، تتشكل من قيم سياسية أساسها التضامن والتعاون والاستزبان وانكسار فكرة المواطنة.ولهذه الدراسة أهمية انية متجلية في الدينامية التي تعرفها قضية الصحراء المتمثلة في مبادرة الحكم الذاتي كمقترح لحل النزاع المفتعل حول الصحراء المغربية، ولها أهمية اكاديمية عبر تصحيح مجموعة من المغالطات، واكتشاف وقائع اجتماعية وسياسية وخلق لغة ومعرفة علمية مشتركة، وسد فراغ الحاصل في هذا النوع من الدراسات. ثم هناك أهمية توثيقية عبر توثيق مجموعة من الاحداث والوقائع الاجتماعية والسياسية والبحث لها عن تفسير علمي، نظرا لطابع الغموض الذي يلف السلوك السياسي المتناقض والذي يجد تفسيره في طبيعة الثقافة السياسية.وسنعتمد على المقاربة النسقية التي تنظر للثقافة السياسية مجموعة من التصورات التي يطرحها D.Eston، موافقة للمعايير والقيم، محللة عبر وظائف إعادة الإنتاج والضبط، ويركز هذا المقترب بالأساس على مسلسل التنشئة السياسية، وسيتم اعتماد التأويل النفسي الذي يرى أن الثقافة جزء من نسق شخصية الفرد، ومزودة بالتوجيه الذاتي في المجال السياسي (Pye. Berba).

لذلك تم تقسيم الموضوع إلى فكرتين: في الفكرة الأولى سيتم مناقشة أبعاد وخصائص الثقافة السياسية بالأقاليم الجنوبية، وثانيا سيتم التطرق إلى القيم السياسية الناظمة للثقافة السياسية.

458 - موريس دوفرجيه، **علم اجتماع السياسة**، ترجمة سليم حداد، (المؤسسة الجامعية، بيروت 1991)، ص.21.

وعندما يتعلق الموضوع بالثقافة السياسية مجال ترابي معين فهو بطبيعة الحال عمل ميداني لذلك لابد من ابداء مجموعة من الملاحظات هي:

أولا: يتم استعمال مجموعة من المفاهيم كمجتمع البيضان او الصحراويين او الأقاليم الجنوبية، اذ هاته المفاهيم لها دلالات تستخدم في الدراسة حسب وظيفتها، فالبيضان يعنى به بناء هوياتي ثقافي تشكل على مر التاريخ يمتد ترابه من وادنون إلى نهر السنغال، على عكس مفهوم الصحراويين الذي جاء مع الاستعمار الإسباني، الذي أراد استنبات هوية سياسية لسكان الصحراء الغربية، بينما الأقاليم الجنوبية مفهوم يعني الأقاليم التي تدار تحت السيادة المغربية.

ثانيا: اثناء الحصول على المعطيات تم استعمال مجموعة من تقنيات العلوم الاجتماعية منها: الملاحظة بالمشاركة[459] وتحليل المضمون[460].

أولا: محاولة للتحديد لنمط الثقافة السياسية بالصحراء المغربية

أبرز "الكسيس دو توكفيل " (Alexis de Tocqueville) أن الديمقراطية ثقافة تقوم على قيم الحرية والمساواة، وكنموذج جلي على ترسيخ هذه الثقافة المجتمع الأمريكي، فرغم التنوع الكبير داخله إلا أنه يمتع بمجموعة من القيم والقوانين كالمساواة في الإرث، وفي الاستفادة من التعليم، والحرية التي لا يمكن للأمريكيين الاستغناء عنها[461].

وتعد الثقافة السياسية معطى متغيرا، فقد يتم تغييرها عبر التخطيط لها عن طريق التنشئة السياسية، إذ عبرها يتم نقل ثقافة سياسية من المجتمع إلى الفرد، أو تغيير ثقافة سياسية وبناء ثقافة سياسية جديدة، عبر أعوان أو وسطاء التنشئة السياسية من أسرة ومدرسة وإعلام،

---

[459] - تعد هذه التقنية مهمة بشـــكل كبير في مجتمع إيحائي كالمجتمع البيضـــاني، بحيث يتعامل بالرموز بشكل كبير في التعبير عن السياسية، وبدقة أكثر الملاحظة بالانتماء الموضوعي والذاتي لمجال ولفئة الدراسة، مما يضيق هامش الخطأ هذا الانتماء الذي يتعدد بين انتماء سياسي إلى انتماء جغرافي ولساني وثقافي.

[460] - مقاربة تحليل المضمون كتقنية تسعى إلى تفكيك مجموع الخطابات السياسية التي يستعملها الفاعلون للتعبير عن مواقفهم ومشاعرهم وقيمهم السياسية.

[461]- الكسيس دو توكفيل، **الديمقراطية في أمريكا**، الجزء الأول: ترجمة وتعليق أمين مرسي قنديل، تصدير محسن مهدي، (عالم الكتب، القاهرة)، ص562-565.

بالإضافة إلى الظروف الطبيعية والتاريخ الموروث، سواء كان محليا أو خبرات الأفراد في التعاطي مع بعض الأحداث والوقائع السياسية، والظروف الاقتصادية والاجتماعية. والثقافة السياسية هي محصلة هذه العوامل كلها، فهي تتأثر بالمنظومة بأكملها وبالتالي تعد جزءا من الثقافة العامة للمجتمع.

تتأثر الثقافة السياسية عند المجتمع البيضاني بمجموعة من المتغيرات الأساسية من قبيل التركيبة المجتمعية الانقسامية ذات الطبيعية القبلية، وبالسياق السياسي الذي يتميز بالصراع والتنافس والتناقض بين طروحات سياسية. لذلك تتمحور الثقافة السياسية حول الانتماء والهوية والتضامن، فالتقسيم الذي وضعه "كابرييل الموند" للثقافة السياسية يبدو أنه لا يستقيم في الأقاليم الجنوبية لاختلاف السياقات السياسية والاجتماعية التي أنتجت فيها هذه التقسيمات، إذ تتميز الثقافة السياسية بأوجه متعددة؛ فثقافة الشيوخ ليست هي ثقافة الشباب، وثقافة النخب السياسية ليست هي ثقافة باقي الأفراد، هذا إضافة إلى اختلاف ثقافة البدو عن الحضر.

إنها ثقافة سياسية صراعية بين منظومتين من القيم على المستوى الأفقي، تتجلى في منظومة أصيلة تمثل ثقافة المجتمع ومنظومة دخيلة على مجتمع البيضان، ثقافة تبشر بها المؤسسات السياسية كالأحزاب والمجتمع المدني، وثقافة تقليدية تكرسها المؤسسات التقليدية من قبيلة واجماعة، بحيث يلاحظ أن هذا الصراع ترتفع حدته في العيون وآسا والسمارة والداخلة وبوجدور، لكن تنخفض وتيرته في مدن كالطانطان وكليميم.

كما أنها ثقافة سياسية غير ديمقراطية، لا تعترف بالمساواة والحرية، بل إن كبير العائلة والقبيلة هو من يحدد مصير الجميع، في شبكة علاقات زبائنية مع باقي التنظيمات السياسية، وتكرس التمايزات الوظيفية كأساس للتميز والتعامل، وممارسة السلطة بين أفراد المجتمع. فالثقافة الديمقراطية سيرورة بنائية في المغرب، تبقى متقطعة بسبب تلك التوترات بين القيم الحديثة

التي تشكل المظهر، والقيم التقليدية التي تشكل عمق الفرد المغربي؛ بين البراديغم المساواتي والباتريباركي، فالمجتمع المغربي مازال يعيش هذا الصراع بفعل التحولات التي يعرفها[462].

إلى جانب ما سبق ذكره فإنها ثقافة سياسية لا تعترف بمؤسسات الوساطة الحديثة كالأحزاب والمجتمع[463]، وإنما هي بدوية تقوم على القبيلة كأعلى تنظيم سياسي محلي يسير الفرد، وينظم علاقاته مع باقي التنظيمات التقليدية الأخرى الحديثة، تجمع بين الأصالة والمعاصرة، تتمثل في الانتماءات المزدوجة التي أصبح الفرد يحملها حسب الوضعيات.

ففي الأقاليم الجنوبية ماتزال قيم التراتبية سارية في المجتمع البيضاني المعاصر، تراتبية قسمت المجتمع البيضاني في زمن السيبة إلى قبائل الحرب والزوايا وزناكة بناء على تمايزات وظيفية، واستمرت داخل بنية القبيلة من زفافين وصناع يأتون في أسفل الهرم الطبقي، وبيضان يأتون في قمته، يتوسطهم الفقيه أو صاحب الزاوية[464]. وإن الأحداث والوقائع السياسية التي مر منها المجتمع من الاستعمار إلى الاستقلال ثم من البداوة إلى التحضر؛ نظيمتها قيم تنفي قيم الحرية والمساواة، وتفرض قيم السوق التي ظهرت مع الإعلام والمدرسة والجامعة، وكلها مرتبطة بشكل وثيق بكيفية توزيع السلطة في المجتمع البيضاني، وهي ما تزال حاضرة في الزمن الراهن.

وتتعدد أبعاد الثقافة السياسية في الأقاليم الجنوبية، بين أبعاد عاطفية وقيمية ومعرفية، ثم تختلف خصائصها من ثقافة سياسية انقسامية ومشاركة واحتجاجية، ساهم في ترسيخها

---

462 - Rahma bourqia, **culture politique au Maroc à l'épreuve des mutation**, (collection logique sociale l'harmattan 2011), paris, p 13.

463 - سيدي الأشكل، تدبير الشأن المحلي بالأقاليم الجنوبية: الإشكاليات والرهانات منشورات **المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية**، (العدد 127/126 يناير أبريل 2016)، ص 109.

464- بيير بونت، التنظيمات التقليدية، **تطور التراتبيات التقنينية في مجتمع البيضان الحالي**، ترجمة: هيبتن الحيرش، بيير بونت أنثروبولوجيا مجتمعات غرب الصحراء، تنسيق عبد الحميد فائز، أناس بن الشيخ، تقديم رحال بوبريك (مركز الدراسات الصحراوية الطبعة الأولى 2017 الرباط)، ص 77.

الموروث التاريخي؛ من تجارب الأجيال السابقة التي نقلتها الأسرة للأفراد، ثم باقي المنظومات الفرعية للتنشئة السياسية.

أبعاد تحدد السلوك السياسي للأفراد داخل المجتمع[465]. يصعب قياس هذه العناصر في الأقاليم الجنوبية، على اعتبار أن السياسة تدخل في خانة غير المسموح الحديث فيه مع الغريب، زد على ذلك اللغة الخاصة المشفرة التي يستعملها البيضاني للحديث حتى لا يفهمها الآخر، لذلك سنتجه في دراسة أبعادها بناء على مؤشرات تخرج إلى الفضاء العام بعفوية ودون تخطيط لها من طرف الأفراد[466].

إذ أن التوجهات المعرفية هي مجموع المعارف التي يكونها الفرد حول السلطة والنسق السياسي، أو المشاكل السياسية التي يعيشها النظام السياسي، والملاحظ أن الأفراد في الأقاليم الجنوبية على دراية بمختلف المشاكل التي يعرفها النسق السياسي المغربي خصوصا قضية الصحراء، فالكل يتحدث عنها، لكن هذه الدراية تنخفض كلما انتقلنا شمالا نحو كلميم، حيث ترتفع فيها معرفة ديناميات تدبير الشأن العام المحلي وصراعاته[467]، لكن معرفة الأحزاب السياسية بمرجعياتها ورموزها وشخصياتها، وهل تشارك في الحكومة أم لا، تكاد تنعدم؛ فهي تنخفض كلما انتقلنا جنوبا، والمعرفة السياسية هنا مشخصنة، بحيث يتم ذكر الشخص الذي ترشح باسم الحزب أو من يمثله.

465 - كابرييل الموند وبنيجهام بأول الابن، **السياسات المقارنة في وقتنا الحاضر نظرة عالمية**، ترجمة: هشام عبد الله مراجعة سمير نصر، (عمان الدار الأهلية للنشر والتوزيع الطبعة الأولى 1988، الأردن)، ص 69.

466 - عدي البشير، **الاسرة والتنشئة السياسية: محاولة في بحث مسارات تشكل الهوية السياسية بالأقاليم الجنوبية**، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون العام والعلوم السياسية (بجامعة ابن زهر كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية اكادير، 2022-2023)، ص 136.

467 - مثلا النقاش العمومي المحلي حول توقيف مجلس جهة كلميم وادنون، والصراع بين الأغلبية والمعارضة، هذه المتابعة للشأن العام، أسس لها الصراع الذي كان بين الوالي السابق عمر الحضرامي مع رئيس الجماعة الترابية لكلميم ما جعل نسبة تسيس المجتمع ترتفع عند أهل وادنون.

أما التوجهات العاطفية والوجدانية التي ترتبط بمجموع مشاعر الكره والاهتمام والرفض اتجاه السياسة، ومنها الولاء للوطن أو للجماعة تحت وطنية التي قد تكون قبيلة أو طائفة سياسية أو جماعة سياسية، فمسالة الثقة في الثقافة السياسية تشكل الرأسمال الاجتماعي الذي يجعل الأفراد يعملون معا ضمن جماعات ومنظمات، من أجل تحقيق أهداف مشتركة، تلك النزعة العفوية للتواصل تتحدد ثقافيا فتعطي للفرد انسيابية العلاقات مع الأفراد والمؤسسات والشعور بالأمن الشخصي[468]. ثم هناك علاقات السلطة التي تساهم عدة عوامل في ارتفاع منسوبها؛ الأمية والفقر ووجود فوارق طبقية، ترتبط علاقات السلطة بالتنشئة السياسية الأسرية عبر المحيط العائلي لنقل الولاء السياسي، فالثقة في الجماعة السياسية المحلية غير الثقة في الدولة كمؤسسة[469].

في الأقاليم الجنوبية تزداد الثقة في السلطة والولاء لها كلما انتقلنا شمالا، لكن كلما انتقلنا جنوبا إلا ويزداد منسوب عدم الثقة والكراهية للسلطة والصراع معها، يرجع أصلها إلى الطابع البدوي الذي مازال يسكن روح الفرد، فالعلاقة مع السلطة علاقة متشنجة تتسم بالصدامية، وهذا من نتائج التنشئة السياسية التي مر منها الفرد في الأقاليم الجنوبية، حيث جعلت الفرد ينجذب وينتمي إلى الجماعة السياسية المحلية التي تتمثل في القبيلة، ويتقوى هذا الانتماء بإقامة علاقات فعالة لا تتجاوز دائرة الجماعة المحلية التي تجمعه معهم القرابة، ليرتفع هذا الانسجام إلى مجتمع يقتسم معه نفس الهوية، فتخلق نوعا من الاعتماد المتبادل بين الجماعة المحلية يقوي تماسكها وتضامنيتها المتنوعة، لكن بمجرد أن يتطلع إلى تجاوز تلك الحدود يحس بالغربة

---

[468] - فرانسيس فوكوياما، **الثقة فضائلها ودورها في الرخاء الاقتصادي**، ترجمة معين الامام ومجاب الامام، (منتدى العلاقات العربية والدولية، الطبعة الأولى 2005)، ص 30.

[469] - Rahma bourqia, p 123.

السياسية التي هي حقيقة العلاقة مع السلطة، هذا الاغتراب السياسي يشكل أزمة مع السلطة[470].

ومن مؤشرات ضعف الثقة نمط التنشئة السياسية الإيحائية والرمزية التي تنشئ الأسرة الفرد عليها، لكن عموما هي أزمة ثقة عامة في المغرب، فالفرد عارف ومدرك للسياسة، ومتتبع لكيفية تدبير الشأن العام، لكن لا يثق في المؤسسات السياسية.

جدول1 يبين مستوى الثقة في المؤسسات لسنة 2022[471].

المنظمات غير الحكومية	الشرطة	الآيات العدالة غير الرسمية	المحاكم	الحكومة
3.27	3.29	3.40	3.24	3.00

فالمغاربة عموما لا يثقون في المؤسسات الرسمية[472]، هذا التحول مرتبط بالتحولات القيمية التي يعرفها المجتمع المغربي، والتي كانت تتأسس على جهاز مفاهيمي يتكون من المعقول والنية والثقة[473].

كما تجدر الإشارة إلى وجود طرح حدد ثلاث تقسيمات للثقافة السياسية في المغرب، ثقافة سياسية انقسامية متجذرة تمثل كمجموعة من الأجزاء المتجاورة؛ تسمى قبائل تشكلت عبر

---

[470]– مثلا في اتصال مع أحد الافراد تحدث في أول كلمة لي: لا توجد لا دولة ولا سلطة ولا مشاركة سياسية دولة سوداء (دولة كحلة باللغة المحلية).

[471] - تقرير الاحتياجات في مجال العدالة ومستويات الرضا بخصوصها في المغرب لسنة 2022 قدمت هذا التقرير جمعية HIIL USER FRIENDLY JUSTIC بتعاون مع جمعية عدالة ونادي قضاة المغرب، ص. 109.

[472]- يمكن للناس تقييم مستوى ثقتهم في خمس مؤسسات مختلفة على مقياس من 1 لا ثقة على الإطلاق إلى 5 مستوى عالٍ من الثقة. وتشمل هذه مؤسسات من المجالات الرسمية وغير الرسمية والمجتمع المدني.

[473] - Rahma bourqia، p 133.

موروث سياسي مستمر عبر الزمن، لنظام متماسك نسبيا من السلوكات والقيم والتمثلات والذكريات، بحيث تقوم على إيديولوجيا القرابة، تكون فيها أولوية الجماعة على الفرد؛ ثم هناك ثقافة سياسية للإجماع، يصبح المجتمع فيها عبارة عن وحدة روحية، وتكون السلطة مشخصنة ولاهوتية؛ وأخيرا ثقافة سياسية تقوم على المشاركة التي ظهرت نتيجة التثاقف مع الغرب الأوروبي، إذ يتمثل فيها المجتمع كتشكيلة طبقية، والسلطة كمؤسسة مرتبطة بالمجال الحضري؛ الفرد مرتبط بدولة القانون، كما أن الدولة تكون للجميع كونها تحتكر العنف المشروع، وتحمل قيم الحرية والمساواة[474].

يبدو أن الثقافة السياسية في الأقاليم الجنوبية لا تخرج عن هذا التصنيف الطرح، فالثقافة السياسية انقسامية؛ إذ المجتمع مقسم إلى قبائل تناهض الفردانية، إنها وحدة روحية تجمعها القرابة، وتعلي من شأن الجماعة التي تسهر على تنشئة الفرد وتمكينه معنويا. هذه الانقسامية مستمرة في الزمن الراهن عبر الأسرة، فهي موروث سياسي عاطفي وإيديولوجي ومعنوي للفرد، تشكل النواةَ والقشرة الصلبة والأساس في ذهنية الفرد، تاريخُ غزي والحرابة والبداوة مرجعيتُها، وهي استعدادات موروثة في التعامل، فالفرد يتعامل مع الديمقراطية وفق ثقافته القبلية.

أما ثقافة المشاركة كثقافة سياسية حداثية مدنية ضعيفة عند الفرد، فهي ليست ثقافة المشاركة في عمقها، أي إن ثقافة المشاركة ليست تلك الثقافة المرتبطة بالسلوك المدني، والمواطنة وقيم الواجب والحق ودولة القانون، بل ثقافة مؤطرة بالعشائرية والقبلية والتعصب، ومقولة: "أنا ضد أخي وأنا وأخي ضد ابن عمي"، تظهر بشكل جلي في الانتخابات. وتدمج هذه الثقافة في الثقافة الانقسامية، فالأحزاب السياسية في الجنوب تم إفراغها من مضمونها وتعبئتها بشحنات عرقية، كانت قد جاءت مع المستعمر، فتحول زعيم وشيخ قبيلة إلى منتخب ورجل سياسة، يلعب دور الوساطة مع السلطة، ويوصل مطالب المجتمع إلى السلطة، كما يتحدث باسمها، ويحل النزاعات بين أفرادها بناء على الأعراف والتقاليد، فالحزب –إذن–في يد القبيلة، لا

[474] – محمد ضريف، ص 58–85.

يتجاوز دوره في منح التزكية وتوفير البنية القانونية لعمل البنية التقليدية[475]. لتأتي ثقافة الخضوع والامتثال للزعامات التقليدية التي تكونت عبر التاريخ وورثت تلك المكانة من الاستعمار، ومع بناء الدولة العصرية كونت رأسمالا ماديا أعطاها امتياز الهيمنة على كل مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الجنوب، هذه الثقافة تجد مصدرها في التنشئة الأسرية التي تقوم على تقدير الأكبر سنا واحترامه وعدم معارضته، وكذا مساهمة العائلة الكبيرة في التنشئة الاجتماعية للفرد.

وعلى عكس الثقافة الانقسامية والمشاركة توجد ثقافة متجذرة تتناقض معهما، وهي ثقافة الاحتجاج، والتي ترتبط بالتنشئة الإيحائية التي تقوم بها العائلة، وضعف السلطة في الثقافة الجمعية للأفراد، ثقافة تنشد الخروج عن السلطة والضغط عليها من أجل مكاسب وامتيازات ترتبط بالسياسات العمومية، وبالقدرة التوزيعية وزبائنية السلطة، أو تعبير عن موقف أو سلوك السلطة الرسمية. وكذلك مكانيزم لحفظ الذات الجماعية الاحتجاجية عندما ترتبط بالهوية الجماعية للأفراد، فيصبح الاحتجاج عرضا واحتفالا للأفراد أمام السلطة، وتنذرا بقرب النصر، لكن في الوقت نفسه تكثيف والتحام وتعاضد الجماعة المحتجة من أجل بناء هوية نضالية، فثقافة الاحتجاج تحيي العقل الناقد، وتنفي مفهوم الخوف من الجهاز المفاهيمي للفرد وكذا التفاعل الحر[476].

ثانيا: القيم السياسية الناظمة للثقافة السياسية بالصحراء: التضامن، الاستزبان والاحتجاج

تتفق جل التعريفات على أن القيم مجموع التفضيلات الجماعية التي يعرفها مجتمع معين تحدد معايير مرغوبة؛ الجميلة والقبيحة، العادلة وغير العادلة، المقبولة أو غير المقبولة. وهذه القيم مترابطة فيما بينها، وتشكل ما يعرف باسم منظومة القيم، تقدم تصورات ورؤى المجتمع للعالم

[475] - ربيع اوطال، **قبائل البيضان والانتخابات دراسة**، (منشورات مقاربات للنشر والصناعات الثقافية، فاس الطبعة الأولى 2019)، ص 50.

[476] - دكتور شحاتة صيام، **ثقافة الاحتجاج من الصمت إلى العصيان**، (مصر العربية للنشر والتوزيع الطبعة الأولى 2009)، ص172.

ولقضاياه، فقد تطرق إليها "دوركهايم" (Émile Durkheim) و"فيبر"(Max weber)، لكن علم الاجتماع المعاصر لم يعطها نفس الأهمية[477]. تعتبر بمثابة قواعد للسلوك أو الكينونة. ودراسة القيم مهمة لمعرفة وتحليل طبيعة التحولات والتنظيمات الاجتماعية، وتفسير الأنشطة المؤسسة للسلوكيات وتوجهات الافراد والجماعات[478]. لتتعدد أنماط هذه القيم من قيم إنسانية متمثلة في المساواة والأخلاق، وقيم مادية كالملكية الفردية، وقيم اجتماعية كالصداقة والتسامح والوطنية. وهناك تصنيف آخر وهو القيم السياسية والاقتصادية والدينية، وفي تحديد منظومة القيم السياسية في الجنوب تم الاعتماد على المحكي اليومي والمتداول بين الأفراد.

إن الإنسان الصحراوي إنسان اجتماعي بطبعه، وأفراده ينسجون علاقات متعددة ومتنوعة، وهو مجتمع يتحكم فيه الجانب الجينالوجي (القرابي)، وهذه العلاقات والأنظمة القرابية تفرض عليه نوعا من التكافل الاجتماعي الذي ينتج عنه التكامل بين كل مكوناته وعناصره، خاصة أن الجانب الديني لا يزال يلعب دورا كبيرا في تماسكه، بالرغم من بعض مظاهر التغيير والتحول الذي مسه عبر سيرورته، مما يجعله يعيش نوعا من الازدواجية؛ بين مجتمع تقليدي تتحكم فيه عوامل تقليدية وموروث ثقافي، ومجتمع عصري منفتح على قضايا العصر.

كما ان الدارس للمجتمع البيضاني يلاحظ أن قيم التضامن[479] حاضرة في كل سلوكاته ومظاهره الثقافية واحتفالاته الجماعية. فالزواج مثلا لم يكن حكرا في مساهمته على الأسرة المعنية، وإنما يتعاون فيها جميع أفراد العائلات الأخرى، سواء كانت مساهمات نقدية أو عينية،

477 - jean Étienne et François bloess jean pieer noreck et jean pierre roux، **dictionnaire de sociologie**، (HATIER، Paris Août 2004) p 611.

478 - Shalom H. Schwartz, **les valeurs de base du person : theories, mesureset application**, (Éditions Technip & Ophrys | « Revue française de sociologie » 2006/4 Vol. 47 |) p 929.

479- أقام بول باسكون تصنيف لمجموعة من التضامنات أهمها: التضامن المبني على القرابة العصبية، ثم التضامن السياسي القبلي، التضامن القائم على الوصاية او الفيودالي والتضامن الأيديولوجي والتضامن الصوفي اللاهوتي ثم التضامن التقني.

ويشاركون في مظاهره الاحتفالية كالرقص والغناء والموسيقى و" لعلاكة[480] "، وإضفاء جمالية على الحفل، زد على ذلك ما يسمى محليا "تارزيفت"، وهي عبارة عن هدايا متنوعة ومختلفة، تساهم فيها العائلات والمعارف والجيران وغيرهم. وتتميز هذه الهدايا بكونها تُمتّن الروابط الأخوية والعائلية.

ولا تقتصر مظاهر التضامن والتعاون داخل المجتمع البيضاني فقط على المستوى الاجتماعي والثقافي، وإنما يتجاوزه إلى ما هو سياسي بكل مستوياته الحربية والتشريعية والقانونية. فكلما كان خطر يهدد القبيلة كمؤسسة اجتماعية بكل مكوناتها وفئاتها ورجالها ونسائها؛ فإن كل واحد يقوم بدوره من أجل الحفاظ على بقائها، إذا واجهها خطر من الخارج، تعيش نوعا من الانصهار والاتحاد، وتبقى الخلافات جانبا، أما المجال الحربي داخل مجتمع البيضان زمن البداوة والترحال، فيساهم في تحديد الوحدات الاجتماعية، لأنها تحرك التحالفات وتغير توازناتها، تحالفات تهدف بالأساس إلى الدفاع المشترك للحفاظ على مصالح القبيلة وأمنها وسلامتها، وهذه التحالفات تقوم على عدة أسس، كالأساس القرابي والجينالوجي، وأساس المبادلات التجارية[481]. وأهم ما يحدد الانتماء الحياة المشتركة وواجب التضامن والحمية والالتحام، والمشاركة في دفع الضرر والعدوان الخارجي والديات والغرامات، فلعبة التحالفات وما تتضمن من تضامن ودفاعات مشتركة، تضمن التوازن الداخلي الحقيقي الذي يقضي على أي اختلال، ومن ثَمَّ فإن هذا التحالف يشكل نوعا من التضامن لصد الأخطار التي تواجهها القبيلة[482].

---

[480] - يقصد بالعلاكة تلك الهدايا العينية (قد تكون عقدا من العقيق كحال النساء أو دراعة أو ملحفة ...) أو النقدية التي يقوم فرد من الجمهور بتعليقها على رقبة الشخص الذي يرقص في الحفل تشجيعا له وفرحا به وبالعرس.

[481] - رحال بوبريك، **دراسات صحراوية: المجتمع والسلطة والدين**، (دار أبي زفزاف للطباعة والنشر الرباط، سنة 2005)، ص106.

[482] - مصطفى ناعيمي، **الصحراء من خلال بلاد ثكنة تاريخ العلاقات التجارية والسياسية**، (الرباط 1988)، ص 98.

أما على المستوى القانوني والتشريعي، فقد برزت "اجماعة" أو "آيت الأربعين" كمؤسسة سلطوية وتشريعية وتنفيذية، تبرر مشروعية المصالح المشتركة والتوازن، فهي تشرع القوانين وتسهر على تنفيذها، وتتكون من عدة شيوخ يمثلون كل الوحدات الاجتماعية للقبيلة "الأفخاذ"، وتسهر على تنفيذها.

لتتطور المعاملات الاقتصادية محورها آليات للتضامن والتعاون مازالت مستمرة، كصندوق الجماعة والدية ثم تارزيفت، هذا النظام الاقتصادي انتقل في مجتمع البيضان إلى نظام رمزي واختيار طوعي للأفراد بشكل أفقي، اعتبرها "مارسيل موس" (marcel Mauss)نظاما تعاقديا عند قبائل البوتلاتش والكولا، لكن في المجتمع البيضاني تعبر الهدية عن الكرم والجود، أو حسن النية أو الصلح، آلية تضامنية تفرضها القرابة، يتضامن بها الأفراد في جميع المناسبات؛ في الأفراح كالأعراس وحفلات العقيقة والأتراح كالجنازة أو وقع رزء للفرد، يتعاون معه الجميع من أجل تخفيف الضرر. يقوم هذا الشكل الاجتماعي بدور تعزيز قوة اللحمة بين أفراد القبيلة الواحدة، وبالتالي قوتهم ووحدتهم.

إن ما يميز المجتمع البيضاني عبر مساره الطويل هو التضامن، وتحديدا التضامن الآلي الذي حدده السوسيولوجي الفرنسي "إميل دوركهايم"، ويكون سائدا أساسا في المجتمعات اللادولتية، وتنظيمه الأساسي قائم على القرابة، فقيم التعاون والتضامن تحمل دلالات اجتماعية عميقة، وتحقق أهدافا كثيرة، بحيث تساعد على رأب الصدع، وحل المشاكل، وتقوية الروابط العائلية.

وتظهر قيم التضامن والتعاون في المجال السياسي في شكل عرضي، حيث لا يمكن ملاحظتها بشكل جلي إلا في أوقات الصراعات السياسية بين القبائل؛ إذ يصبح التعصب لأبناء العمومة والقرابة هو الفيصل، بعيدا عن أية عقلانية، وكلما ارتفع مستوى الصراع إلا وارتفع مستوى التضامن والتعاون؛ من التعاون والتضامن القائم على القرابة، الذي يجعل الفرد ينصر أبناء قبيلته ضد القبيلة الاخرى إلى التضامن القائم على الانتماءات الجغرافية ذات الطبيعة السياسية، الذي يفرض على الفرد دعم الاخرين بناء على انتمائهم الى ارض النزاع ام لا، إلى التضامنات المؤسسة على ما هو هوياتي، أي يتأسس التضامن على قاعدة بيضاني او صحراوي ضدا

المغربي او الاخر لا يشترك معه في أي هوية، فأساس هذه القيمة هو نظام القرابة الذي يتربى عليه الفرد منذ الصغر.

مما يخلق التضامن تراتبية هوياتية بين مجموعة من الروابط سواء كانت قبلية قائمة على القرابة او إقليمية تقوم على الانتماء إلى إقليم معين او سياسية تتأسس على موقف سياسي من نزاع الصحراء يتم تفضيل هوية عن أخرى، كتفضيل أوامر القبيلة عن أوامر الانتماء الجغرافي عن الانتماء إلى فضاء أوسع هو صحراوي او بيضاني.

فالفرد في الأقاليم الجنوبية يتضامن مع أبناء عمومته في الانتخابات ضد أفراد القبيلة الأخرى، ويتضامن مع من يتقاسم معه التراب، أي من هو معني بنزاع الصحراء، ويظهر هذا الصراع حول المجالات الترابية بين قبائل وادنون بشكل ملفت مثلا قبيلة يكوت في صراع حول مجالاتها الترابية مع مختلف القبائل المجاورة من ايتوسى مثلا.

لينتقل التضامن إلى تضامن مع صحراوي ضد السلطة في شكل احتجاجي ضد المخزن، ففي العيون مثلا تفتح كل المنازل في وجه الشباب الذين كانوا في الوقفات الاحتجاجية، فقط على أساس أنهم صحراويون ضد المخزن، هذا التضامن ذو الطبيعة السياسية يتم تنشئته في الفرد منذ الصغر، وينتقل من مستوى قائم على الاثنية إلى مستوى ثقافي، ثم إلى مستوى ترابي لمّا انتقلت دائرة الصراع من القبيلة إلى الآخر المتميز عنه، ثم إلى السلطة، وتبعا لذلك يلاحظ انه عندما تحدق بالفرد او الجماعة مخاطر وتهديدات تمس الامن الاجتماعي والسياسي والنفسي يتم استدعاء الهوية الجماعية لتنتعش سواء كانت على أسس قرابية او مجالية او ثقافية، ليستتبع ذلك نقل إلى الفرد قيم أخرى وهي قيمة عدم الخضوع إلى لقانون أو الحرية وقيمة الاستزبان.

وتعتبر قيم التمرد وعدم تطبيق القانون إحدى القيم البارزة في المجتمع البيضاني، إذ يأخذها الفرد منذ نعومة أظافره، فالفرد يتمرد على أي قانون بصفة عامة، وأي نظام مفروض، أو أية قاعدة في تدبير شأن معين، هذه القيم المتمثلة في التمرد على كل ما هو آت من السلطة السياسية، هي في الحقيقة تمرد عليها، يتمثله الفرد كأنه ثورة عليها، ومقاومته لجبروتها

وطغيانها وسلطتها، حتى أن الأمثال والمحكي الشعبي يرسخ هذه القيم، فمثلا يقال" القانون حدو إلا امزلوك"، هذا المثل يعد إحدى العبارات التي يستقبل بها أي فرد غريب عن منطقة آسا، بحيث أول درس يتعلمه هو أن القانون يقف عند "فج امزلوك" أي الحدود الفاصلة بين قبيلتين، ما وراء "فج امتلوك" جنوبا يبدأ تراب قبيلة آيتوسى، وشمالها تراب قبيلة آيت إبراهيم الذي ينتهي فيها تطبيق القانون، ويبدأ قانون آخر هو قانون القبيلة والأعراف.

هناك محكي آخر لنكتة في الأقاليم الجنوبية، وهو أن أحد الأفراد يقود سيارته "لاندروفير" على الطريق، وعند نقطة الدرك وقف الدركي يسأله عن وثائق السيارة، فيما يبدو أن ليست لها وثائق، فأجابه السائق:" الوتة وتي والطريق طريق مولانا وانت اشعندك " بمعنى السيارة سيارتي، والطريق طريق الله، وأنت ما دخلك"، هنا يظهر في المحكي والشفهي مدى تدني قيمة القانون، وخضوعه لأهواء الأشخاص في تطبيقه والخضوع له. هذه النكتة هي لسان واقع الحال، فقد لوحظت نسبة كبيرة من سيارات الدفع الرباعي ليست لها وثائق، تجوب الصحراء بحرية، حتى أن الأفراد في كثير من الحوارات التي أجريتها معهم لا يرون مشكلا في الذهاب بها إلى أقصى المغرب، وبدون وثائق ثبوتية.

والحقيقة أن نسبة الخضوع إلى القانون تزداد كلما انتقلنا شمالا، بحيث يصبح الفرد أكثر استعدادا لاحترام القانون، لكن كلما انحدرنا جنوبا إلا ويصبح الفرد متحررا من شيء اسمه القانون، إذ يبقى آخر شيء يفكر فيه. ويمكن القول إن هذه القيم مرتبطة بقيم عُرفت في الأقاليم الجنوبية والمغرب عموما وهي قيم السيبة، أي الحرية وعدم الخضوع للسلطان، إذ تجد لها جذورا في الزمن السياسي ما قبل الدولة الحديثة، تفكيرا وممارسة. في زمن الدولة التقليدية السيبة لا تعني انعدام الأمن، لكن تعني الجنوح نحو التمرد ضد جشع العمال والقواد وطغيانهم[483].

483 - عبد الله العروي، **الأصـــول الاجتماعية والثقافية للوطنية في المغرب 1830-1912**، تعريب: محمد حاتمي ومحمد جادور، (المركز الثقافي العربي الطبعة الأولى 2016)، ص229.

والفرد في الأقاليم الجنوبية مازال لم يدخل في وعيه أن الدولة كسلطة موجودة يجب الخضوع لها، يظهر هذا من خلال تمرده على القانون كأحد منتوجاتها الخالصة، والتي عن طريقها تفرض سلطانها، فالفرد مازال يغلب المؤسسات التقليدية في صراعها مع الحديثة، لذا فالسيبة تختلف بين زمن الأمس واليوم، بالأمس كان حضور سلطة القبيلة أكثر من سلطة الدولة، لأن المجتمع يدين بالولاء للقبيلة قبل الدولة، فعدم الخضوع للقانون هو في عمقه تمرد على السلطة السياسية.

إن الأصل في أي تعاقد بين أفراد المجتمع والهيئة السياسية التي اختاروها هو توفير الأمن أولا، وحماية الناس من اعتداءات بعضهم على بعض، هذا التعاقد مازال لم يصل إليه المجتمع البيضاني مع الدولة، لذلك مازالت القبيلة وقوانينها العرفية هي المنظمة، وتقوم بوظيفة الضبط الاجتماعي.

لأجل ذلك أكد "دولاشابيل" على أن القبائل البيضان نموذج آيت أوسى، كانت قبل الاستعمار تتحرك عبر مجالات واسعة، ولا تخضع إلى أية سياسة مراقبة، بحيث تتحكم في ترحالها وتنقلها الظروف الطبيعية من تساقطات، والظروف الأمنية والحروب بين القبائل.

لكن هذه الحرية في التنقل والحركة ستبدأ في التقلص مع دخول المستعمر الفرنسي إلى لمجال[484]. فالغزو والسيبة والحروب والحرية هي أصل الإنسان البيضاني منذ زمن بعيد، وهو سيد المجال، لا تحده إلا هزيمة من طرف ثانٍ، سواء كانت قبيلة أو وحدة سياسية أخرى، هذا هو الطابع الغالب من نهر السنغال جنوبا إلى وادنون شمالا قبل دخول الاستعمار سنة 1905[485].

[484] -de la chapelle F, **Note sur la confédération des Takna**. P 75.

[485] - حماه الله ولد سالم، **تاريخ بلاد شنكيطي(موريتانيا) من العصور القديمة إلى حرب شربة الكبرى بين أولاد ناصر ودولة ابدوكلا المتونية**، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2010، ص 328.

لقد كانت السيبة مفهوما ناظما لحالة الحرب والصراع بين القبائل في الصحراء، والإمارات في موريتانيا، تحدد طبيعة النظام السياسي في بلاد البيضان، وقد حملت دلالتين: دلالة دينية متمثلة في غياب السلطان الحاكم، ودلالة سياسية تتجسد في غياب السلطة السياسية، وحكومة بصفة عامة، مما جعل القبائل تخلق نظامها الخاص كالجماعة وآيت الأربعين[486].

كما يجد القانون نفسه في صراع مع الأعراف والتقاليد التي أصبحت لصيقة بالأفراد في المجتمع البيضاني، والتي تتعارض معه في مجموعة من العقوبات التي تفرضها على الأفراد في حالة المخالفة أو الخطإ، وبذلك يتجه الأفراد إلى الاستعانة بها لحل المشاكل التي تنشب بين الأفراد، في تهميش واضح للقانون الوضعي، هذا القانون الذي تراه الجماعة المحلية مهددا للحمتها واتحادها، فيصبح غير ذي جدوى في وجدانها وعواطفها العامة. وترتبط بقيمة عدم الخضوع للقانون قيمة الاستزبان.

إذ أن قيمة الاستزبان من القيم الحديثة على العائلة البيضانية، قيم تطبع علاقة الفرد بالسلطة السياسية والدولة، بحيث تكون بنوع من الزبائنية بشكل كبير، والفرد في الأقاليم الجنوبية أصبح ينشأ عليها، إذ هي ليست بقيمة أصيلة في المجتمع البيضاني، ولكن الأحداث والوقائع تراكمت حتى أصبحت محددا في كسب الولاء والطاعة للسلطة السياسية في المغرب.

وترتبط هذه القيمة بالدولة الباترمونيالية[487]، إذ تطبع مجموع العلاقات الناشئة داخل هذا الصنف من الدول التي تقوم على التبعية الشخصية بين الزبون والسيد، فهي تستند إلى مبدإ تبادل الامتيازات بين طرفين، من أجل خدمة أو سلعة قد تكون ولاءً أو منفعة يقدمها كل طرف

486- عبد الحميد فائز، **الحرب في المجتمعات الرعوية، اليات إنتاج العنف في المجتمع البيضاني قبل الاستعمار**، (منشورات مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط الطبعة الأولى 2015)، ص 122.

487 - طرح هذا المفهوم "ماكس قيبر" لوصف دولة القرون الوسطى في أوروبا الغربية، القائمة على الأبوية إذ تنعدم فيها الحدود بين القانون والأخلاق وبين أملاك الملك والملك العمومي فيتصرف الملك كأنه في أملاكه الخاصة.

إلى لآخر[488]، إنها قيمة تجعل من أشخاص يمتلكون سلطة وموارد غير متكافئة، تقوم على أساس التبادلية والتقارب واللاتكافؤ بين الطرفين[489].

فالقيم الزبونية ترتبط بمنطق الأخذ والعطاء والمصلحة، لكل طرف موارد تشكل حوافز له. خارجة عن العلاقات القرابية في المجتمع البيضاني، فهذه القيمة تصبح موجودة كلما انتقلنا جنوبا، فالسلطة السياسية والإدارة خلقت هذه القيم انطلاقا من بناء ثقافة الريع، منذ 1975م عبر المساعدات الاجتماعية من الإدارة، والتي كانت فقط استمرارية لسياسة إسبانيا في استمالة السكان بالمنطقة، وكانت قائمة على إنشاء بعض المرافق كمستشفى في الداخلة، وتزويد القبائل بالماء لما له من قيمة في الصحراء، ثم تقديم بعض الهدايا كالسكر والشاي[490]، وقد تمكن جل الأعيان من الحصول على امتيازات، زد على ذلك مبادرات قامت بها الإدارة خصوصا في العيون، منها حملات التوظيف المباشر الاستثنائية لحملة الشواهد العليا، وعملية التوظيف التي قام بها الحسن الثاني، وقد سميت تلك الفئة بأشبال الحسن الثاني[491]، هذا إضافة إلى بطائق الإنعاش التي يتم توزيعها من طرف الإدارة على أساس المحاصصة القبلية والطائفية[492].

---

488 - حافظ عبد الرحيم، **الزبونية السياسية في المجتمع العربي، قراءة اجتماعية سياسية في تجربة البناء الوطني في تونس**، (مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة أطروحات الدكتوراه، بيروت الطبعة الأولى)، ص 262.

489- jean Leca, Yves smeil, le clientélisme et patrimonialisme dans le monde arabe, **revue internationale de sciences politique**, (vol n° 4 ,1983) p 445 -494.

490- رحال بوبريك، **زمن القبيلة السلطة وتدبير العنف في المجتمع الصحراوي**، (سلسلة دراسات صحراوية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الرباط 2012)، ص 290.

491 - قامت الدولة بتوظيف شباب ينتمي إلى الأقاليم الجنوبية بالمدن الشمالية ما بين سنة 1987إلى سنة 1991.

492 -Victoria Veguilla, Changes in Moroccan Public Policies in the Western Sahara and International Law: Adjustments to a New Social, Context in Dakhla, **global, regional and local dimension of western Sahara's protracted deconilization**, (Library of Congress Control Number 2017), P 237.

في إحدى حفلات الزفاف على المائدة يجتمع حولها كبار السن مع الصغار، يتحدث أحد الأفراد (مقاول متوسط) متذمرا من أخبار السياسيين ومشاكلهم، ويخلص في حديثه إلى أنهم لم يعطوا للمجتمع ولا للبلد شيئا، وبدأ بسب وشتم مؤسسي جبهة البوليساريو إلى آخر سياسي يدبر الشأن العام في الإقليم، فنهره شخص (منتخب جماعي) وعارضه بشدة ليقول له: لولا هؤلاء القادة (يشير بأصبعه إلى الجهة الشرقية) لما وصلت أنا وأنت إلى هذه الدرجة وهذه الأهمية عند المغاربة، يتعجب المقاول من خطابه ويقول له: أنت مع مغربية الصحراء وتقول هذا الكلام، يقول له: نعم لكن لا يمكن أن أنكر حقائق ووقائع[493].

هذه القيمة نجدها بصفة واضحة انطلاقا من المحكي اليومي الذي يتداول في العائلات الصحراوية، إذ يقول "الله ذوك لا جاو وهاذو لا تهناو"، بمعنى "يا رب أن لا يأتي أهل المخيمات ويا رب لا ترتاح السلطة السياسية المغربية"، ويتحدث أحد كبار السن وهو متقاعد، وسط جماعة يوجد فيها رجل سلطة أن "الإخلاص مع لخلاص"، أي أن الإخلاص يقاس بما نتقاضاه في آخر الشهر.

في هذه الامثلة يظهر المنطق الزبوني التي أصبح عليها الفرد في الأقاليم الجنوبية، لا يختلف فيها تراب دون تراب اخر، وغير محصور في قبيلة معينة عن أخرى ولا يرتبط بظرفية سياسية معينة بل هو بناء تحتي صلب، وتستجلي هذه القيمة كذلك انطلاقا من توبيخ الفرد من طرف أفراد العائلة والأصحاب، عندما يدخل في إطار مشاركة سياسية رسمية، كالانضمام إلى حزب سياسي، أو المشاركة في مؤتمر من مؤتمراته.

خاتمة

تجد دراسة الثقافة السياسية أهميتها في إمكانية التنبؤ بالسلوك السياسي للأفراد، فالثقافة السياسية تنتقل للأفراد عبر التنشئة السياسية، وتحدد نمط المشاركة السياسية الذي يتعاطى معه الافراد، وبالتالي من اجل تغيير السلوك السياسي للأفراد يجب تغيير الثقافة السياسية عبر

[493] - هذه الملاحظة تم تسجيلها بتاريخ 6 يناير 2023 بكلميم.

التنشئة السياسية، فالثقافة السياسية صناعة وإنتاج يحمل مجموعة من التراكمات المادية والرمزية.

ولا يمكن تحديد نموذج للثقافة السياسية فلكل مجتمع ثقافته السياسية التي ينهلها من الثقافة عامة، ومن هاته المجتمعات المجتمع البيضاني الذي تأثرت ثقافته بالسياقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فانتج ثقافة سياسة تقوم على التراتبية والانقسامية والاحتجاج والمشاركة، فماهي يا ترى نمط السلوك السياسي للأفراد المنبثق عن هاته الثقافة السياسية؟

المراجع:

أولا: باللغة العربية

– بيير بونت، التنظيمات التقليدية، **تطور التراتبيات التقنينية في مجتمع البيضان الحالي**، ترجمة: هيبتن الحيرش، بيير بونت أنثروبولوجيا مجتمعات غرب الصحراء، تنسيق عبد الحميد فائز، أناس بن الشيخ، تقديم رحال بوبريك مركز الدراسات الصحراوية الطبعة الأولى 2017 الرباط.

– ربيع اوطال، **قبائل البيضان والانتخابات دراسة**، منشورات مقاربات للنشر والصناعات الثقافية، فاس الطبعة الأولى 2019.

– رحال بوبريك، **دراسات صحراوية: المجتمع والسلطة والدين**، دار أبي زفزاف للطباعة والنشر الرباط، سنة 2005.

– رحال بوبريك، **زمن القبيلة السلطة وتدبير العنف في المجتمع الصحراوي**، سلسلة دراسات صحراوية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الرباط 2012.

– ضريف محمد، **النسق السياسي المغربي المعاصر**، إفريقيا للشرق، البيضاء الطبعة الأولى 1991.

– عبد الحميد فائز، **الحرب في المجتمعات الرعوية، اليات إنتاج العنف في المجتمع البيضاني قبل الاستعمار**، منشورات مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط الطبعة الأولى 2015.

– عبد الله العروي، **الأصول الاجتماعية والثقافية للوطنية في المغرب 1830-1912**، تعريب: محمد حاتمي ومحمد جادور المركز الثقافي العربي الطبعة الأولى 2016.

– فرانسيس فوكوياما، **الثقة فضائلها ودورها في الرخاء الاقتصادي**، ترجمة معين الامام ومجاب الامام، منتدى العلاقات العربية والدولية، الطبعة الأولى 2005.

– كابرييل الموند وبنيجهام بأول الابن، **السياسات المقارنة في وقتنا الحاضر نظرة عالمية**، ترجمة: هشام عبد الله مراجعة سمير نصر، عمان الدار الأهلية للنشر والتوزيع الطبعة الأولى 1988، الأردن.

– مصطفى ناعيمي، **الصحراء من خلال بلاد ثكنة تاريخ العلاقات التجارية والسياسية**، الرباط 1988.

– عزمي بشارة، الثقافة السياسية ملاحظات أولية، مجلة تبين العدد 45 المجلد 12، صيف 2023.

– سيدي الأشكل، تدبير الشأن المحلي بالأقاليم الجنوبية: الإشكاليات والرهانات **منشورات المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية**، العدد 127/126 يناير أبريل 2016.

ثانيا: باللغات الأجنبية

– jean Étienne et François bloess jean pieer noreck et jean pierre roux، **dictionnaire de sociologie**, HATIER, Paris Août 2004.

- jean Leca, Yves smeil, le clientélisme et patrimonialisme dans le monde arabe, **revue internationale de sciences politique**, vol n° 4 (1983).

- Rahma bourqia, **culture politique au Maroc à l'épreuve des mutation**, collection logique sociale l'harmattan 2011, paris.

- Raymond Boudon،**The Origin of Values: Sociology and Philosophy of Beliefs**, Transaction Publishers, 2013.

- Shalom H. Schwartz, les valeurs de base du person : theories, mesureset application, Éditions Technip & Ophrys | « **Revue française de sociologie** » 2006/4 Vol. 47 |.

-Victoria Veguilla, **Changes in Moroccan Public Policies in the Western Sahara and International Law: Adjustments to a New Social, Context in Dakhla**, global, regional and local dimension of western Sahara's protracted deconilization, Library of Congress Control Number 2017.